

مكانة ودور الشعر في المجتمع

الحضور: حشد من الشعراء والأدباء

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

المناسبة: لقاء رمضاني في ليلة مولد الإمام الحسن المجتبي (ع)

الزمان: ١٠/٤/١٣٩٤ ش . ١٤/٩/١٤٣٦ هـ . ١/٧/٢٠١٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

مبروك عليكم جميعاً إن شاء الله ميلاد الإمام المجتبي، الإمام الحسن (عليه الصلاة والسلام) الحسن المجسم على لسان الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) وهو الذي وضع هذا الاسم على هذا الوليد، وهذا شيء عظيم جداً ومهم للغاية أن يسمي الرسول الأكرم (ص) هذا الإمام الهمام وهذا الطفل المبارك «حسناً».

أذكر قلوبكم الحساسة وأرواحكم الرقيقة ومشاعركم السيالة ببركات شهر رمضان. الحق أنه إذا تقرر أن ينتفع شخص من بيادر البركات الوافرة هذه، فإن من الذين ينتفعون أكبر الانتفاع من هم أهل ذوق وحالات روحية وقلوب حساسة ومشاعر مرهفة، أي أنتم. من أفضل منكم للانتفاع من دقائق ولحظات وساعات وأيام وليالي هذا الشهر - وهو شهر التقرب إلى الله وشهر رقة القلوب وشهر الأُنس بالله تعالى وشهر ذكر الله والخشوع له - ومن أنسب من أصحاب الأفئدة الطاهرة الرقيقة والمشاعر الرقيقة.

أفضل وسيلة للدخول في جنة ذكر الله والأُنس به والشوق إليه، هي الأدعية الواردة في هذا الشهر، سواء الأدعية الخاصة بهذا الشهر أو الأدعية التي تقرأ متى ما شعر المرء بالحاجة إلى قراءتها، كالمناجاة الشعبانية وأدعية الصحيفة السجادية. الانتهاز من هذه الأدعية شيء قيم جداً. «وَأَسْمَعُ دُعَائِي إِذَا دَعَوْتُكَ، وَأَسْمَعُ نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُكَ، وَأَقْبِلْ عَلَيَّ إِذَا نَجَيْتُكَ» (٢). بوسع قلوبكم الرقيقة أن تعبر عن هذه المعاني بحضور أكبر وتوجه أعمق؛ «فَقَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ». هذه تعابير وكلمات صدرت عن أطف القلوب وأفصح الألسن. من الذي يجب أن يتلقى هذه الكلمات ويدركها وينتفع منها أفضل منكم، أفضل من هذه القلوب الطاهرة الرقيقة. لا تغفلوا عن الأدعية في هذا الشهر. في دعاء المناجاة الشعبانية: «هَبْ لِي قَلْبًا يَدِينِيهِ مِنْكَ شَوْقُهُ وَلِسَانًا يَرْفَعُ إِلَيْكَ صِدْقُهُ وَنَظْرًا يَقْرَبُهُ مِنْكَ حَقُّهُ». يطلب الإنسان من الله قلباً عامراً بالشوق الذي يرتفع بالإنسان إلى الأعالي ويقترَب به من الذات الربوبية. طيب، أي قلب أكثر استعداداً من القلوب المرهفة الحساسة؟ وهذا شيء متوفر فيكم والحمد لله.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: «بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَّيْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرَ مَا أَنْتَ». هذا الارتباط المعنوي اللطيف بالحق سبحانه وتعالى وبأصل المحبة والعزة شيء قيم ومهم للغاية. هذه

أمور تبعث الدفء حقاً في القلوب الحساسة وتربط عليها وتفشي فيها الأمل وتوفر لها الملجأ والسند. لا شأن لي بالطرف الذي نظم المرحوم «أخوان» هذه القصيدة له ولماذا نظمها، إنما أقرأ أنا هذه القصيدة مخاطباً بها الصحيفة السجادية، وأقرؤها قاصداً بها دعاء أبي حمزة الثمالي: «يا ركن وملجأ أجمل لحظات العصمة وجلال الوحدة والخلوة، يا ساحلي العظيم الموج بالحلوة». هكذا هو الدعاء. لا تعزفوا عن هذا، ولا تعرضوا عن الدعاء، فالدعاء ذا قيمة وأهمية كبيرة. الدعاء هو ذلك الإكسير الذي بوسعه تغليب القلوب الملوثة باليأس، والنظرات السيئة المتشائمة والمشوبة بالمشاعر الخاطئة، وهدايتها إلى السبيل الصواب، هكذا هو الدعاء. انتفعوا من هذه الليالي فأنتم أجدر الناس بقراءة الأدعية والانتفاع منها انتفاعاً حقيقياً، فانتفعوا منها. طبعاً قراءة ألفاظ الدعاء درجة نازلة من قراءة الدعاء - أن يقرأ الإنسان هذه الألفاظ ولا يفهم معانيها بشكل دقيق أو يفهم ظاهراً من معانيها - لكن الامتزاج بالدعاء وبتلك المفاهيم والمضامين والتعمق والغور فيها شيء ذو قيمة عالية.

طيب، الشعر فن مؤثر وتأثيره تأثير مضاعف بين مجموعة العوامل الكلامية، بمعنى أنه لا يوجد أي كلام مهما كان فصيحاً أو جميلاً أو عميق المعاني يمكنه أن يؤثر هذا التأثير إذا لم يكن شعراً. الشعر مثل هذا الجهاز ومثل هذا العنصر. للشعر دور محفز ومحرض حينما يكون الموضوع موضع تحفيز وتحريض. وله دور الإرشاد والدلالة والتوجيه والهداية بالنسبة لمستמעه ولمن يقرأ الشعر لنفسه، وإذن، فهذا شيء يضع على عاتق الإنسان مسؤولية. عندما تكون لديكم ثروة وإمكانية يمكنكم أن تنتفعوا منها للأعمال والأمور الكبرى ولم تستفيدوا منها فقد تصرفتم بخلاف المسؤولية وبخلاف الالتزام. هذا شيء باعث على المسؤولية. والله تعالى منحكم هذه النعمة، لكنه سيسألكم عنها مثل كل النعم الأخرى. الإنسان سوف يسأل عن العطاء الإلهي. سوف تسألون ما الذي فعلتموه بهذه النعمة؟

يمكن هداية المتلقي إلى السبيل الصواب والصرط المستقيم بأدوات الشعر، ويمكن بنفس الأدوات دفعه نحو الطريق الأعوج والعمل على سقوطه وانحطاطه. يمكن للشعر أن يسقط الإنسان إلى الحضيض. وثمة مثل هذه الأشعار، وخصوصاً اليوم حيث الثقافة المنفلتة البعيدة عن القيم الأخلاقية والإنسانية تنتشر للأسف انتشاراً واسعاً بهذه الأدوات الحديثة والإعلامية، فيتحول الشعر أحياناً إلى أداة للانزلاق والسقوط والانحراف؛ هذا عن الجانب الآخر من القضية. إذن، يمكن للشعر أن يقوم بالعمليين. الشاعر بمشاعره المرهفة يدرك ويتصاعد فيه الشوق ويحنّ وتغلبه الهموم والغموم وينظم الشعر. نظم الشعر هذا ناجم عن شوق وغم وهم وشعور وإدراك ومشاهدة شيء لا يشاهده الآخرون. هذه العملية لها طرفان: يمكن أن توجه صوب الخيرات والإحسان، ويمكن العمل بشكل معاكس. إذا خضع الشعر لتأثيرات الغريزة الجنسية بشكل مفرط - وللأسف فإن بعض الأيدي في بلادنا تعمل على أخذ الشعر نحو تلك الاتجاهات، تأخذه عنوة، بعد أن جال شبابنا في فضاءات النقاء واللطف والمعنويات الجميلة والملاحم

والثورة، بدأت الآن بعض الأيدي في أماكن مختلفة، وفي الفضاءات الإلكترونية المجازية في الغالب، والوسائل والطرق الأخرى في مكانها، تحاول جرّ الشباب نحو الغريزة الجنسية المفرطة عن طريق الشعر أيضاً - هذا شيء سيئ جداً وجرس إنذار بخطر. يحدث هذا أحياناً، وفي أحيان أخرى هناك المصالح الشخصية، وأحياناً مدح الظلم، وللأسف هذا الشيء مشهود بكثرة في التاريخ؛ مدح الظلم والظالم. ولدينا اليوم والحمد لله الوضع المعاكس لذلك، وقد شاهدنا لحسن الحظ أن عدداً من هؤلاء الشعراء الشباب الأعزاء وقفوا بوجه هذه الحالة؛ وسبق أن سمعتُ قصائد وأشعاراً عن اليمن - قصيدة السيد سيار (٣) - وقصائد أخرى وقرأتها وكانت جيدة جداً. وهذه التي قرأتها وقرأها الأعزاء هذه الليلة جيدة جداً بدورها، وهي صحيحة، وهذا العمل هو العمل الصحيح، ويمثل الالتزام الذي سيسأل الله تعالى عنه. من فقرات دعاء مكارم الأخلاق: «وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَدًا عَنْهُ» (٤). ينبغي التفكير في هذا الشيء فغداً سيسألوننا عن أشياء؛ يقول: يا إلهي وفر لي اليوم أسباب العمل بالأشياء التي ستسألني عنها غداً. ولديكم أنتم هذه الوسائل، وقد تكون قلوب بعض الناس مكتظة لكنهم غير قادرين على التعبير والبيان، بينما أنتم والحمد لله تستطيعون التعبير، فعبروا وسيكون لهذا تأثيره. هذا الشعر الذي تنظمونه للبحرين أو لليمن أو للبنان أو لغزة أو لفلسطين أو لسورية، أيّ شعر تنظمونه لأهداف الأمة الإسلامية سيكون له استخداماته وفائدته في كل مكان. إذا سار هذا الشعر بهذا الاتجاه فسيكون مصداقاً لـ «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ» (٥).

أريد أن أقول - وهذا ما قلناه مراراً في هذه الجلسة وفي كثير من الجلسات الأخرى - إن الحياد في المعركة بين الحق والباطل لا معنى له. تارة تكون المعركة متشابهة، هذا بحث آخر، ولكن حينما يكون هناك حق وباطل فلا معنى للحياد، ينبغي الانحياز للحق ووقوف في وجه الباطل؛ قد يستطيع شخص الوقوف بطريقة عسكرية، وآخر بطريقة سياسية، يمكن الوقوف والصمود بأشكال مختلفة، وشخص يمكنه الصمود باللسان والبيان والفكر، فيجب عليه الصمود. لا يمكن للشاعر أن يكون محايداً في المعركة بين الحق والباطل. إذا كان الشاعر أو الفنان محايداً فقد هدر النعمة الإلهية، وإذا انحاز لا سمح الله لجانب الباطل يكون قد خان وأجرم، والكلام هنا ليس عن إهمال إنما عن جريمة. لقد تعرضت أمتكم طوال هذه الأعوام المتمادية لكثير من الظلم، وهذه المظلومية جديدة بأن تصور وتعرض وتنشر في العالم.

لقد قصفوا مدينة سردشت في سنة ٦٦ [١٩٨٧م] وهذه الأيام ذكرى قصفها، فهل هذا بالهزل؟ أن يقصفوا مدينة قصفاً كيميائياً ويقتلوا آلافاً من الأطفال والكبار والشيوخ والشباب والنساء والرجال في مدينة واحدة، ويصمت العالم! العالم الذي يتحول أحياناً سقوط قطة في بئر بالنسبة له إلى قضية تغطيها وكالات الأنباء والصحف والتلفزيونات وتقول: نعم، سقطت قطة أو ثعلب مثلاً في بئر، وتجمعت الأجهزة الفلانية والفلانية والعلانية لتخرجه حياً، أو أن هناك حيواناً مائياً على الساحل يحتضر ويريدون إعادته

بشكل من الأشكال إلى الماء، العالم يثير مثل هذه الضججات لأجل هذه الأشياء، وإذا به يصمت حيال مذبحة كيميائية في مدينة! وحينما نقول العالم لا نقصد الشعوب، فالشعوب لا وسائل لها ولا أدوات، إنما أقصد القوى المهيمنة على الأجهزة الإعلامية في العالم، مثل أمريكا وبريطانيا والقوى الغربية المهيمنة والقوى الصهيونية. هؤلاء هم المهيمنون على الأجواء الإعلامية في العالم، ولا يسمحون لأي همس أن يصدر. والآن يقصفون اليمن بهذا الشكل ليل نهار، ولا يصدر عنهم أي صوت، وكانوا يقصفون غزة بالأمس، وقبل ذلك بفترة كانوا يقصفون لبنان، فلا ينبس أحد ببنت شفة. وافترضوا أن يحاكم مهريان في مكان ما ويعدما، فإذا بهم يثيرون ضجيجاً إعلامياً، هكذا هو العالم بالتالي، فما الذي ينبغي فعله مقابل هذا العالم؟ ما الذي يمليه شرف الإنسان الشريف وضميره وإنسانيته حيال هذه الجبهة والوقاحة والخبث، وبغض النظر عن المحفزات الدينية والواجب الإيماني؟ هذه مسؤوليات على العواتق.

أنا طبعاً راض جداً عن تطور الشعر في إيران في فترة ما بعد الثورة، فقد أصبح الشعر جيداً جداً بحق. هؤلاء الشباب الذين يقرأون أشعارهم الآن يختلفون اختلافات بينة عن الشباب الذين كانوا يقرأون أشعارهم قبل عشرة أعوام مثلاً، أي إن هناك تقدماً حقيقياً، الشعر الآن جيد جداً لكن إمكانيات الشعر في بلادنا أكبر من هذا بكثير، أكبر من هذا بكثير. لاحظوا الآن أن هذه الفتاة التلميذة - سمعتُ أن «شهرستان أدب» قد أطلقت نشاطات طلابية وهي تجمع الأفراد (٧) - تلاميذ إيران وشباب إيران وناشئة إيران، وفتيات إيران وفتيان إيران ينظمون الشعر وبهذه الدرجة من الجودة وبهذه المضامين الحسنة وبهذه الأخيلة القوية، هذا حسن جداً. وأقولها طبعاً إن مستوى الشعر العام في إيران اليوم لم يصل بعد إلى المستوى العام للشعر المناسب لمكانة إيران، بمعنى أنه كانت هناك فترات - غير بعيدة عنا كثيراً - كان المستوى العام للشعر فيها، أي بالنظر لتلك الذرى والقمم التي كانت فيها، تعدّ أعلى وأرقى من مستوانا الحالي. كان لدينا بالتالي مميزون وشعراء سواء في نمط القصيدة أو نمط الغزل أو الأنماط المختلفة الأخرى، ينبغي أن نسعى للارتقاء إلى مستوياتهم، وهذا ما يتطلب عملاً وسعيًا وجداً.

من حيث المديات، مدياتنا واسعة جداً، وينبغي أن نحاول التقدم بهذه المديات الواسعة، وهذا ما يستدعي عملاً وجهداً. طبعاً هناك مسؤوليات على عاتق مركز الفكر والفن وهناك مسؤوليات على الأجهزة والمؤسسات المختلفة، والأجهزة الحكومية والأجهزة المتعلقة بالنظام وما إلى ذلك - الإذاعة والتلفزيون وسواها - كلهم لديهم واجباتهم. ينبغي تقدير الشعر، فالشعر ظاهرة كبيرة ومهمة جداً. أرى في نظامنا وفي بلادنا أن الذين ينبغي أن يدركوا هذه الحقيقة كأن بعضهم - ولا أقول كلهم - لم يدركوا بعد عميق أهمية الشعر، ولا يقدرّون الشعر أصلاً، «ما قَدَرُوا الشَّعْرَ حَقَّ قَدْرِهِ»، لم يستطيعوا إدراك قدر الشعر كما هو. للشعر تأثير عجيب، بيت واحد من الشعر أحياناً، أو غزل واحد مثلاً، أو قطعة شعرية لها تأثير أكبر

من محاضرة شخص خبير مطلع لمدة ساعة أو ساعتين. هذا شيء مهم جداً، أو هو كما يصطلحون جوهره ثمينة، ولها مثل هذه الأهمية. يجب أن يستطيعوا تقدير هذا الفن.

أضف إلى ذلك أن من جملة الأمور الحسنة جداً في بلادنا، والتي تلاحظ آثارها في هذه الجلسة أيضاً، وشوهدت قبل ذلك وأنا راض عنها كثيراً، رد الفعل السريع لشعراء إيران الشباب حيال الأحداث؛ هذا شيء قيم جداً، وحسن جداً. لا يتصور أحد أن هذه الحالة سلبية، لا، إنها إيجابية جداً. كان لدينا على مر التاريخ وفي زماننا المعاصر القريب من الوقت الحاضر حالات من ردود الأفعال السريعة التي أنتجت أفضل الأعمال والآثار. عندما خطفت تلك الفتاة طائرة إسرائيلية نظم المرحوم فيروزكوهي قصيدة، والذين يعرفون الشاعر أمير فيروزكوهي يعلمون إنه لم يكن شاباً ولم يكن ثورياً أو شيئاً من هذا القبيل، لكنه نظم قصيدة جميلة رائعة بدافع المشاعر التي تفاعلت في نفسه في ذلك الحين - سنة أربعين ونيف [عقد الستينيات من القرن العشرين للميلاد] - بما يتناسب والظرف والزمن، قال فيها: «هناك غزال...» ولا أتذكر أبياتها الآن على وجه الدقة، وكنا نحفظ في ذلك الحين الكثير من أبياتها، وقد سمعتها منه مباشرة (٨). على كل حال، هذا جيد جداً أن تكون هناك ردود أفعال سريعة على الأحداث، ويتم تبيينها وشرحها، هذا حسن جداً.

نتمنى أن يكتسب شعر الثورة مرتبة أعلى وأرقى باستمرار إن شاء الله. طبعاً لا أقصد من شعر الثورة الشعر الذي قيل في زمن الثورة وإن كان ضد الثورة، ليس هذا هو المراد من شعر الثورة. البعض يتصورون أن شعر الحرب هو ذلك الشعر الذي يقال حول الحرب حتى لو كان ضد الحرب! ليس هذا بشعر حرب، بل هو شعر ضد الحرب. شعر الثورة يعني الشعر الذي في خدمة أهداف الثورة، هذا هو شعر الثورة وليس شعر فترة الثورة، ليس هذا ما أقصده. أقصد من شعر الثورة الشعر الذي يصب لصالح أهداف الثورة؛ يصب في خدمة العدالة والإنسانية والدين والوحدة والرفعة الوطنية والتقدم الشامل للبلاد، وفي خدمة بناء الإنسان في الوطن بالمعنى الحقيقي للكلمة، هذا هو شعر الثورة الذي يتحرك باتجاه أهداف الثورة. نرجوا أن يوفقكم الله تعالى جميعاً ويديمكم، وأن يسير شبابكم إن شاء الله سنين طويلة في هذا الصراط المستقيم، وينفعوا البلاد والمستقبل والأجيال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ - قبل كلمة الإمام الخامني في هذا اللقاء، ألقى عدد من الشعراء قصائدهم بحضوره.

٢ - المناجاة الشعبانية.

٣ - محمد مهدي سيار.

٤ - الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

- ٦ - السيدة معصومة فراهاني التي قرأت شيئاً من شعرها في هذه الجلسة.
- ٧ - إشارة إلى إقامة ورشة شعرية وقصصية من قبل مؤسسة شهرستان أدب الثقافية الفنية.
- ٨ - إشارة إلى قصيدة «انظر غزلاً هناك، أسرت الشمس بحبالها، عزيمتها من سبع رجال، وصولاتها في سبع ميادين» للشاعر الإيراني الراحل أميرى فيروزكوهي حول «شادية أبو غزالة». اسمها الحقيقي ليلي خالد، وقد اختارت «شادية أبو غزالة» اسماً حركياً تيمناً بأول شهيدة فلسطينية كان هذا اسمها. وكانت ليلي خالد من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقامت سنة ١٩٦٩ م (١٣٤٨ بالسنة الإيرانية الهجرية الشمسية) باختطاف طائرة كانت متجهة من روما إلى أثينا، ظناً منها أن إسحاق رابين فيها، وفرضت عليها الهبوط في مطار دمشق.

